

النظم الادارية

الدواوين

الديوان يعني السجل الذي يحفظ فيه أسماء المقاتلين وأعطياتهم ثم صار المكان الذي يحفظ فيه السجل ، وكان أول من أستحدث نظام الدواوين عمر بن الخطاب عام ١٥ هـ عندما أستحدث ديوان العطاء ورتب الناس في الديوان بحسب القرابة من الرسول (ص) والسابقة في الاسلام والخدمة للإسلام والحاجة .

أما سبب استحداثه يعود ١ - لكثرة الاموال الواردة من الفتوحات ورغبة عمر (رض) في تنظيم توزيعها وتثبيت مقاديرها بأسماء مستحقيها وتوفير ما زاد عن حاجة المسلمين للضرورات المقبلة ، ٢ - ورغبته في أن يجعل من العرب أمة عسكرية ليوجهها للجهاد في سبيل الاسلام فأراد أن يخصص للمقاتلة رواتب وأعطيات من بيت المال تكفيهم مؤونة العمل بأن يحفظ سجلاً بأسماء المحاربين وأهلهم فكون ديوان الجند وأطلق عليه في ذلك الوقت الديوان لأنه كان الديوان الوحيد .

وقد سار عمر بن الخطاب (رض) على سياسة التفضيل في العطاء بينما سوى أبو بكر الصديق (رض) بين الناس في العطاء ، وقد سار عثمان بن عفان بسيرة عمر (رض) ، أما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد عاد إلى سياسة التسوية في العطاء فالخليفة عمر بن الخطاب وأن حافظ على فكرة الاسلام الجوهرية القاضية بالمساواة بين الناس بغض النظر عن أنسابهم لكنه أصر على المفاضلة بينهم من حيث الايمان ومن هنا كانت القرابة من الرسول (ص) والسبق إلى الاسلام عاملين اساسيين في تحديد مركز المؤمن .

ولم يسجل عمر بن الخطاب جميع العرب في الديوان كما لم يفرض لهم جميعاً العطاء بل سجل اهل المدينة وهم نواة الامة الاسلامية ، ثم القبائل المقاتلة التي اشتركت في الفتوحات ومن لحق بهم من القبائل لتعزيز قوة المسلمين العسكرية ، ولم يدخل أهل مكة في الديوان لعدم اشتراكهم في الفتوحات كما لم يدخل الاعراب الذين بقوا في الجزيرة ولم يشتركوا في الحروب بل كان يوزع على المحتاجين منهم من أموال الصدقات والزكاة .

وقد ساوى عمر بن الخطاب (رض) بين العرب والموالي في العطاء بحسب الاسس التي وضعها كما سوى بين المهاجرين ومواليهم ، وبين الانصار ومواليهم ، وكتب إلى امراء الجيوش والاقاليم بذلك .

تعريب الدواوين

كانت دواوين الخراج في الدولة الأموية تكتب في لغاتها المحلية السائدة قبل الفتح الإسلامي، الفارسية في العراق والشرق، والرومية في الشام، والقبطية في مصر، وبقيت كذلك حتى زمن عبد الملك بن مروان حيث شعر بأهمية استكمال سيادة الدولة بسيادة لغتها.

أما الدواوين الأولى (الجند وبيت المال) فقد كانت باللغة العربية منذ نشأتها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. أما الدواوين التي وجدت في البلاد المفتوحة فقد أبقاها العرب على حالها، وهي مختصة بالجباية وحساباتها فظلت حتى زمن عبد الملك ويبدو أن تعريب الدواوين كان يقصد منه ضبط أعمالها والإشراف عليها منعاً للغش والتزوير. وأدى إجراء التعريب الى إيجاد طبقة جديدة من الكتاب والى نهضة أدبية لغوية رائعة.

بدأ عبد الملك بتعريب ديوان الخراج في الشام وأمر كاتبه على الرسائل سليمان بن سعد الخشنى أن يحول هذا الديوان من الرومية الى العربية. وكان ذلك سنة ٨١ هـ وقد طلب عبد الملك أن يجعل له خراج الأردن في مقابل العمل وقد بلغ ١٨٠ ألف دينار.

أما دواوين الخراج في العراق فقد عربت أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد عهد الى صالح بن الرحمن بنقل الديوان من الفارسية الى العربية، وكان صالح يحذق الفارسية والعربية معاً، فأتى صالح مهمته بنجاح وقيل: ان مراد نشاء بن ذاذان فروخ كاتب الحجاج بذل له مائة ألف درهم على أن يعجز عن هذا العمل ويمسك نفسه فأبى فدعا عليه اذ انه قطع أصل الفارسية.

وقد عربت دواوين الخراج المصرية في ولاية عبد الله بن عبد الملك في خلافة الوليد سنة ٨٧ هـ وصرف انشئنا عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص، إلا أن دواوين الخراج في خراسان لم تعرب وبقيت بالفارسية وكان أكثر كتابها من المجوس حتى كتب يوسف بن عمر في سنة ١٢٤ هـ إلى نصر بن سيار عامله في خراسان يأمره بنقله إلى العربية ولا يستعان من الكتاب غير المسلمين وقام بعملية التعريب هناك اسحق بن طليق الكاتب وهو من بني نهشل وكان مع نصر فأصبح خاصاً بالديوان وللتعريب أثر عظيم فقد أصبحت العربية لغة دواوين الخراج مما ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة، وساعد على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالي وأهل الذمة فأصبحت لغة السياسة والإدارة والاقتصاد فضلاً عن كونها لغة الدين.

أسباب تعريب الدواوين

أن حركة تعريب الدواوين في الدولة العربية كانت لها أسباب حقيقية ومباشرة تختلف اختلافاً جوهرياً عن الأسباب التي ذكرتها بعض المصادر العربية كالجيشياري (الوزراء والكتاب) والبلاذري (فتوح البلدان) ، اللذان يؤكدان أن الموظفين في الدواوين تتأقلموا عن طلب الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقام الخليفة يأمر بتحويل الحساب إلى العربية . ويمكن أن نلخص أسباب التعريب بما يأتي :

١ - أتمام صبغ الدولة بالصبغة العربية بعد أن تحققت حركة الإصلاح النقدي ، لأن حركة التعريب كانت مظهراً من مظاهر وجود الدولة وسيادتها ، كما أن تولي أشخاص غير عرب زمام الإدارة في الدولة العربية ، كان مخالفاً لأسس وكيان الدولة القومي .

٢ - كان الاختلاف في لغة الدواوين يفتت نظام الدولة الاقتصادي ويعيق أدارتها المالية ، لذا كانت حركة تعريب الدواوين دعماً للمركزية العربية في النواحي الإدارية والاقتصادية وتصحيحاً للنظام القديم .

٣ - تحرير النظم الادارية والمالية من الخضوع للسيطرة العنصرية أو الشعبوية الحلية ، مما يؤكد سيادة الدولة سياسياً على البلاد المحررة .

٤ - تقييم اللغة العربية ، ورفع مركزها واتخاذها لساناً حضارياً للامة الاسلامية والعربية وللشعوب التي خضعت لها .

نتائج حركة التعريب

يمكن تلخيص نتائج حركة التعريب بما يأتي :

١ - أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في الدولة ، وقد ساعد ذلك على تقليص نفوذ أهل الذمة بعد أن انتقلت مناصبهم إلى أيدي المسلمين من العرب نتيجة التعديل في الدواوين المحلية سواء أكان من ناحية اللغة ، أم من ناحية الموظفين الذين يعملون في هذه الدواوين ، ثم أخذت طبقة الكتاب تظهر منذ ذلك الحين من العرب والمسلمين ، وترتب على ذلك انقراض اللغات الفارسية والرومية والقبط في العالم الاسلامي ، وأصبحت لغة الفكر والحضارة في أجزاء كثيرة من الامبراطورية العربية ، واقبل الموالي وغيرهم على تعلمها وإثقالها .

٣ - كانت حركة التعريب أول عملية ترجمة منظمة أدت إلى نقل الكثير من الاصطلاحات الرومية والقبطية ، كما نشطت أيضاً الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية

الدواوين في العصر الاموي

١ - ديوان الجند

وهو الديوان الذي وضع أسسه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لحفظ أسماء الجند وتحديد أعطياتهم ومرتباتهم ، وقد تطورت طبيعة هذا الديوان ، فبعد أن كان يتولى الانفاق على الجند ومن شملهم العطاء أصبح في العصر الاموي يقوم بوظيفة أحصاء أسماء الجند وتسجيل مقدار أعطياتهم .

٢ - ديوان الخراج

ويتولى أمور تنظيم الخراج وكيفية جباية اموال الخراج ، وهو من الدواوين المحلية التي كانت موجودة في بلاد الشام ، وقد أحدثه البيزنطيون وكانت لغته يونانية .

٣ - ديوان الرسائل

وهو أول ديوان أستحدث في الاسلام ، ويمكن أن نعتبر بدايات تكوينه إلى مراسلات النبي (ص) الملوك والامراء يدعوهم الى الاسلام ويكتب الى القادة والامراء من الصحابة . واصبح هذا الديوان في العصر الاموي يتولى مكاتبات الخليفة مع الولاة والقواد في الامصار ، كما يتولى الاشراف على مكاتبات الخليفة مع الدول الاجنبية ويشير الجهشيارى الى أن كتابه كانوا من العرب والموالي ، ويبدو أنه بلغ درجة من التنظيم في عهد عبد الملك .

٤ - ديوان المستغلات

كان هذا الديوان يدير ممتلكات الدولة واموالها غير المنقولة كالأراضي والابنية والعمارات .

٥ - ديوان النفقات

مهمته النظر في الانفاق على الجيش ، كما يتولى توفير الاموال لنفقات الجهاز الاداري .

٦ - ديوان الصدقات

مهمته النظر في موارد الصدقات والزكاة وفي تحديد مستحقيها وكيفية توزيعها حسبما جاء في القران (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) ويرد ذكر الديوان لأول مرة في خلافة هشام بن عبد الملك .

٧ - ديوان الخاتم

أستحدث هذا الديوان في خلافة معاوية بن أبي سفيان على أثر تزوير حدث في إحدى رسائله إلى زياد بن أبيه أمره فيها بإعطاء حاملها مائة ألف درهم فبدل حاملها المقدار إلى مائتي ألف درهم وعلى أثر ذلك أمر معاوية بأن تحفظ نسخة من أوامره في مكان أمين وأمر كذلك بأن تخرم النسخة الأصلية بالخيط وتختم بالشمع الأحمر بختم صاحب الديوان وهي تقابل في العصر الحاضر دوائر الحفظ أو أمانة سر ديوان الدولة ، وبقي هذا الديوان حتى أواسط الدولة العباسية ثم تحولت اختصاصاته إلى الوزراء .